175883 ـ هل يستجاب دعاء شارب الدخان ؟

السؤال

هل ينطبق حديث الرسول : أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، على التدخين ؟ يعنى هل المدخن يأكل ويشرب الحرام فلا يستجاب دعاؤه ، وتحبط أعماله ، ويكون جسده نبت وغذي بالحرام ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

الحديث المشار إليه أخرجه الطبراني في " المعجم الأوسط " (6/310) عن ابن عباس قال تليت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً) فقام سعد بن أبي وقاص فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به) .

قال الشيخ الألباني رحمه الله فيه " ضعيف جداً " انتهى من "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (4/292).

لكن معنى هذا الحديث ثابت في أحاديث أخر :

روى مسلم في صحيحه (1015) : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وَقَالَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ ؛ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ؟!) .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ..) يعني طعامه الذي يأكله حرام ، أي حرام لذاته أو لكسبه .

(وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ) يعني شربه الذي يشربه حرام ، إما لذاته أو لكسبه " .

انتهى من " شرح الأربعين النووية " (1/71) .

وللاستزادة في موانع استجابة الدعاء ينظر جواب سؤال رقم (13506) ، (5113) .

ولا يظهر أن شرب الدخان داخل في جملة هذا الحديث ، وإنما الذي يظهر أن المراد به أكل أموال الناس بالباطل ، كالسرقة والرشوة وأكل الربا ، ونحو ذلك من وجوه أكل أموال الناس بالباطل .

وأما الذي يخشى على شارب الدخان منه ، فهو أن يحرم إجابة الدعاء بشؤم إصراره على هذه المعصية ؛ فقد قال تعالى: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) سورة المائدة/27 .

قال ابن رجب رحمه الله : " ولهذا كانت هذه الآية يشتدُّ منها خوفُ السَّلف على نفوسهم ، فخافوا أنْ لا يكونوا من المتَّقين الذين يُتقبل منهم .

وسُئل أحمد عن معنى "المتقين" فيها، فقال: يتقي الأشياء ، فلا يقع فيما لا يَحِلُّ له " .

انتهى من " جامع العلوم والحكم " (12/10) وفيه جملة مفيدة من الأحاديث الدالة على تحريم الأكل من الكسب الحرام وعقوبة ذلك .

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله : " قد يمنع الإنسان الإجابة لأسباب عديدة ؛ إما لأنه أصر على معاص ، أو لأنه يستعمل الكسب الحرام ، أو لأنه يدعو بقلب غافل معرض ، أو بسبب ذنوبه وإعماله السيئة ، بإصراره على المعاصي ، بأكله الحرام ، بغفلته عن الله ... إلى غير ذلك، الأسباب كثيرة ولا حول ولا قوة إلا بالله " .

انتهى من " مجموع الفتاوى" (26/296) بتصرف واختصار.

وقال رحمه الله أيضاً: " قد جاء في بعض الأحاديث أن إهمال هذا الواجب وعدم العناية به ـ أعني واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ من أسباب رد الدعاء وعدم النصر كما تقدم

ولا شك أن هذه مصيبة عظيمة, من عقوبات ترك هذا الواجب أن يخذل المسلمون وأن يتفرقوا وأن يسلط عليهم أعداؤهم , وأن لا يستجاب دعاؤهم , ولا حول ولا قوة إلا بالله" .

انتهى من "مجموع الفتاوى" (27/399) .

والحديث الذي أشار إليه الشيخ رحمه رواه الترمذي (2169) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ) .

وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في " صحيح الجامع " (7070) .

والله أعلم .